معسكر الكشافة الأهلى برومانيا

- ٢ -

دَعَوْتُكَ فِي المَرَّةِ الماضِيَةِ إِلَى الطَّعامِ وَلَكِنَّ نَسِيتُ يَوْمَ دَعَوْتُكَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَيْكَ شَيْئًا لاَ بُدَّ أَنْ تُحْضِرَهُ مَعَكَ، إِذْ لَنْ يفيدَ فِي نِسْيانِهِ عُذْرٌ مِنَ الأَعْذارِ . نَعَمْ نَسِيتُ أَنْ أُؤَكِّدَ لَكَ ضَرُورَةَ إِحْضارِ ما يَلْزَمُكَ فِي الأَكْلِ مِنْ «فُوطَةٍ» وَكُوبٍ بِلْ وَمِنْ أَطْباقٍ وَأَدَواتٍ . فَأَنْتَ كَشَّافٌ تَعْرِفُ أَنَّنا فِي رِحْلاتِنا وَمُعَسْكَراتِنا نُقَلِّلُ مِنَ الأَدَواتِ ما أَمْكَنَ، وَنُخَفِّفُ مِنْ حُمُولَتِنا ما اسْتَطَعْنا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً . أَنْتَ أَدْرَى النَّاسِ بِأَنَّنا لاَ نَأْخُذُ مَعَنا إِلاَّ الضَّرُورِيَّ مِنَ المَلابِسِ الدَّاخِلِيَّةِ وَمِنَ الأَدَواتِ الشَّخْصِيَّةِ مِنْ دُونِ أَنْ نَحْسِبَ لِلضُّيُوفِ حِسابًا . بَلْ لَقَدْ كَانَ رَئِيسُ الرِّحْلَةِ شَدِيدًا مَعَنا فِي أَلا تَتَعَدَّى حُمُولَةُ كُلِّ واحِدٍ مِنَّا ما يَمْلأُ كِيسَ الظَّهْرِ (الجُرَبْنْدِيَّةَ) وَلَمْ يُؤَكِّدْ فِي تَفْتِيشِ أَدَواتِنا كُلِّها قَبْلَ السَّفَرِ، وَفِي أَنْ يَأْمُرَ بِتَرْكِ ما زادَ عَلَى المِقْدارِ المُحَدَّدِ . وَمَنْ مِنَ الكَشَّافَةِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُناقِشَ الرَّئِيسَ أَوْ يَعْصِيَ لَهُ أَمْرًا .

وَكَمْ كَانَ الرَّئِيسُ بَعِيدَ النَّظَرِ فِي هٰذا، بَلْ كَمْ كَانَ يَبْنِي رَاحَتَنا حِينَ يُشَدِّدُ فِي أَمْرِهِ وَلَمْ يَقْبَلْ فِيهِ جِدالاً . فَقَدْ رَأَيْنا بِأَعْيُنِنا كَيْفَ كُنَّا أَحْرارًا نَنْتَقِلُ حَيْثُ شِئْنا مِنْ دُونِ أَنْ يُثْقِلَ الحِمْلُ ظَهْرَنا وَمِنْ دُونِ أَنْ نَتَكَلَّفَ فِي نَقْلِهِ مِلِّيمًا وَاحِدًا . وَكَمْ أَشْفَقْنا عَلَى أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَتَعَلَّمُوا مِنْ تَجارِبِ الكَشَّافَةِ ، فَحَمَلُوا بُيُوتَهُمْ مَعَهُمْ ، ثُمَّ لَمْ يَتَمَتَّعُوا بِرِحْلَتِهِمْ بَلْ ضاعَتْ أَوْقاتُهُمْ بَيْنَ حِراسَةِ المَتاعِ وَمُحاسَبَةِ الحَمّالِينَ . وَفِي أُورُبَّا كُنَّا نُقابِلُ الرَّحّالَةَ مِنَ الشُّبّانِ الصِّغارِ وَقَدْ أَتَوْا مِنْ بِلادِهِمُ البَعِيدَةِ خِفافًا ، وَتَضامَنُوا فِي لَوازِمِ السَّفَرِ تَضامُنًا مُنِعَ فِيهِ كُلُّ تَكْرارٍ ، حَتَّى لَقَدْ كانَ يَشْتَرِكُ فِي الغِطاءِ الوَاحِدِ (البَطّانِيَّةِ) اثْنانِ !! وَكَثِيرًا ما أَشارَ الرَّئِيسُ إِلَيْنا ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : «انْظُرُوا كَيْفَ

يَفْهَمُ الأوروبيُّونَ لَذَّةَ السَّفَرِ ، وَكَيْفَ يَقْتَصِدُونَ فَلَا يُنْفِقُونَ فِي رِحْلَاتِهِمْ إِلَّا بِقَدَرٍ . أَمَّا نَحْنُ فَلَا بُدَّ أَنْ نَحْمِلَ الدُّنْيَا كُلَّهَا فَوْقَ رُءُوسِنَا !! . »

السَّاعَةُ الآنَ تَقْتَرِبُ مِنَ الْوَاحِدَةِ ، وَهَا هِيَ صَفَّارَةُ الرَّئِيسِ تُحْدِثُ صَفِيراً طَوِيلاً ، إِيذَاناً مِنْهُ بِالِاسْتِعْدَادِ ، وَإِنَّكَ لَتَشْهَدُ فِي أَفْرَادِ الرِّحْلَةِ كُلِّهِمْ حَرَكَةً : هُمْ يُسَارِعُونَ إِلَى أَدْوَاتِهِمْ فَيُخْرِجُونَهَا ثُمَّ هُمْ هَؤُلَاءِ يُرَتِّبُونَهَا عَلَى الْمَائِدَةِ تَرْتِيباً عُيِّنَ لَهُمْ مُنْذُ بَدْءِ الرِّحْلَةِ فَمَا يَدْخُلُهُ تَبْدِيلٌ أَوْ تَغْيِيرٌ . لَكِنْ مَنْ ، تُرَى ، يَكُونُ هَذَا الْجَوَّالُ الَّذِي وَقَفَ يَقْرَأُ فِي وَرَقَةٍ نَشَرَهَا ثُمَّ طَوَاهَا طَيًّا ؟ .. إِنَّهُ أَمِينُ الْمَخْزَنِ بَدَأَ عَمَلَهُ لَيْلَةَ السَّفَرِ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَةِ سَاعَةَ أَنِ اجْتَمَعْنَا لِتَنْظِيمِ الرِّحْلَةِ وَتَوْزِيعِ الْعَمَلِ عَلَيْنَا . فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَشْتَرِيَ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَكْفِي رِحْلَةَ الْبَحْرِ كُلَّهَا مِنْ دُونِ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى الطَّرِيقِ خَشْيَةَ أَنْ يَصْعُبَ عَلَيْنَا النُّزُولُ إِلَى الْبَرِّ أَوْ يَكُونَ الثَّمَنُ فِي الطَّرِيقِ مُرْتَفِعاً .

وَلَمْ يُتْرَكِ الْأَمْرُ فَوْضَى يَشْتَرِي أَمِينُ الْمَخْزَنِ مَا يَشَاءُ ، وَيُوَزِّعُ الطَّعَامَ عَلَى الْأَيَّامِ كَمَا يَشَاءُ . لَا ، بَلْ لَقَدْ عَيَّنَ الرَّئِيسُ — بَعْدَ اسْتِشَارَةِ الْأَعْضَاءِ — أَصْنَافَ الطَّعَامِ وَوَضَعَ بِذَلِكَ بَيَاناً خَاصًّا — فِي الْمَخْزَنِ إِذاً عِلَبٌ مِنَ « التُّونَه » و « السَّرْدِينِ » وَمِقْدَارٌ مِنَ الْجُبْنِ الْأَبْيَضِ وَالرُّومِي ، وَعُلَبٌ مِنَ الْحَلَاوَةِ الطَّحِينِيَّةِ ، وَمِقْدَارٌ مِنَ الزَّيْتُونِ غَيْرُ كَبِيرٍ وَكَمِّيَّةٌ لَا بَأْسَ بِهَا مِنَ الْبَصَلِ وَاللَّيْمُونِ تُسْعِفُ الْأَعْضَاءَ وَقْتَ الْحَاجَةِ وَتَقِيهِمْ دُوَارَ الْبَحْرِ ،

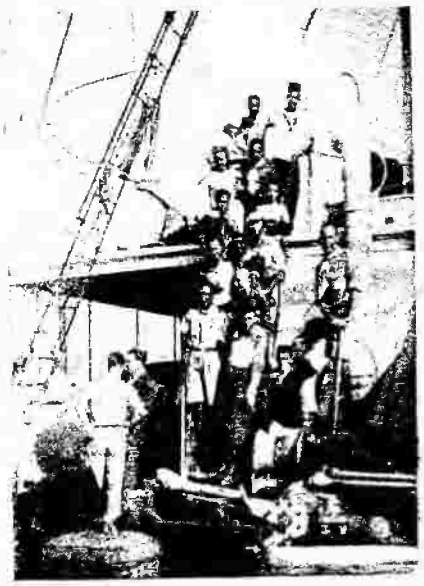

مع بعض الركاب على ظهر الباخرة

ثُمَّ عَدَدٌ قَلِيلٌ جِدًّا مِنْ عُلَبِ الْأَنَانَاسِ ، أَمَّا الْمُرَبَّبُ فَمِنْهُ صِنْفَانِ ، وَأَمَّا الْفَاكِهَةُ الَّتِي كُنَّا نَرَى فِيهَا غِذَاءً صَحِيحاً لَا بُدَّ مِنْهُ يُسَاعِدُ عَلَى هَضْمِ سَائِرِ الْأَلْوَانِ الثَّقِيلَةِ السَّابِقَةِ ، فَقَدْ كُنَّا نَتَزَوَّدُ مِنْهَا فِي كُلِّ ثَغْرٍ مَرَرْنَا بِهِ ، لِأَنَّ طَرِيقَنَا كُلَّهُ إِنَّمَا كَانَ فِي أَرْضِ الْفَاكِهَةِ وَمَنْبَتِ الْكُمَّثْرَى

وَالتِّينِ وَالْخَوخِ وَالْأَعْنَابِ .

وَكَانَ اعْتِقَادُنَا أَنَّ أَيَّامَ الْبَحْرِ الثَّمَانِيَةَ سَتَكُونُ شَبِيهَةً بِأَيَّامٍ أُخْرَى قَضَيْنَاهَا فِي الْبَحْرِ فِي طَرِيقِنَا إِلَى قُبْرُصَ مَرَّةً ، وَإِلَى بِلَادِ الْيُونَانِ مَرَّةً أُخْرَى ، أَيَّامَ اضْطَرَبَتْ فِيهَا الْمَرْكَبُ فَاضْطَرَبَتْ مَعَهَا أَمْعَاؤُنَا فَأَفْرَغْنَا فِي الْبَحْرِ كُلَّ مَا كَانَ فِي بُطُونِنَا ، وَأَصَابَنَا دُوَارٌ لَازَمْنَا فِيهِ الْفِرَاشَ حَتَّى انْتَهَتْ مُدَّةُ السَّفَرِ لَمْ نَشْرَبْ فِيهَا مَاءً وَلَمْ نَعْرِفْ فِي أَثْنَائِهَا طَعْمَ الطَّعَامِ نَعَمْ كُنَّا نَظُنُّ ذَلِكَ ، فَاقْتَصَدْنَا فِي الشَّرَابِ وَلَمْ نَخْزُنْ إِلَّا الْقَلِيلَ . لَكِنِ انْعَكَسَ الْأَمْرُ ، وَكَانَ الْبَحْرُ هَادِئًا طُولَ الْوَقْتِ ، وَاشْتَهَيْنَا الطَّعَامَ ، وَخَافَ الرَّئِيسُ أَنْ يَنْفَدَ الزَّادُ مِنَّا بِسُرْعَةٍ ، وَهُنَا ظَهَرَتْ مَهَارَتُهُ فَأَحْصَى مَا بِالْمَخْزَنِ مِنْ كَمِّيَّاتٍ ثُمَّ وَزَّعَهَا فِي كَشْفٍ مَكْتُوبٍ عَلَى مَا بَقِيَ مِنْ أَيَّامِ الرِّحْلَةِ . وَإِذَا فَأَمِينُ الْمَخْزَنِ إِنَّمَا كَانَ يُمْسِكُ فِي يَدِهِ تِلْكَ الْوَرَقَةَ الَّتِي كَتَبَهَا الرَّئِيسُ ، وَيَصْرِفُ (تَعْيِينَ) الْوَجْبَةِ مِنْ دُونِ أَنْ يَنْقُصَ فِيمَا كَتَبَ أَوْ يَزِيدَ .

انْتَقَلَتِ الْأَصْنَافُ إِلَى الْمَائِدَةِ وَأَخَذَ كُلُّ جَوَّالٍ مِنَّا مَكَانَهُ ، وَجَلَسَ الضَّيْفُ إِلَى جَانِبِ الرَّئِيسِ احْتِفَاءً بِهِ وَإِكْرَامًا ، وَأَخَذَ الرَّئِيسُ يُوَزِّعُ بِنَفْسِهِ الْأَصْنَافَ : هَذَا سَرْدِينٌ يَكْفِي أَنْ تَشُمَّ رَائِحَتَهُ فِي لُقْمَةِ الْخُبْزِ ، وَذَلِكَ جُبْنٌ لَا شَكَّ أَنَّهُ (سَبَتُوهُ) بَيْنَ أَسْنَانِكَ فَمَا تُحِسُّ بِطَعْمِهِ ، وَهَذَا مُرَبَّبٌ تَرَاهُ وَتَكَادُ لَا تَذُوقُ لَهُ طَعْمًا ، فَإِذَا جَاءَ دَوْرُ الْبَطِّيخِ فَالرَّئِيسُ مُغْرَمٌ بِأَنْ يُوَزِّعَ عَلَيْكَ سَبْعَ قِطَعٍ لَا قِطْعَةً وَاحِدَةً ، وَهُوَ يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يُثْبِتَ لَكَ أَنَّهُ كَرِيمٌ لَا يَعْرِفُ الْبُخْلَ ، وَلَكِنَّهُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يُرِيكَ أَنَّهُ أَيْضًا مُقْتَصِدٌ لَا يَعْرِفُ التَّبْذِيرَ . هُوَ مِنْ هُوَاةِ الْكَشَّافَةِ يَعْرِفُ كَيْفَ يَضْحَكُ عَلَى ذُقُونِ عِبَادِ اللهِ حِينَ يُقَسِّمُ الْبَطِّيخَةَ الْوَاحِدَةَ — مَهْمَا صَغُرَتْ — إِلَى خَمْسِ قِطَعٍ ، بَلْ إِلَى سِتِّ ، ثُمَّ يَقُولُ لَكَ خُذْ مِنْ هَذِهِ الْقِطَعِ سِتًّا أَوْ زِدْ عَلَيْهَا قَلِيلًا !! ..

وَكَانَ سُرُورُنَا عَظِيمًا لِوُجُودِ الضَّيْفِ بَيْنَنَا ، وَكُنَّا نَظُنُّ أَنَّ الرَّئِيسَ سَيَكُونُ أَكْثَرَ سَخَاءً مِنْ أَجْلِهِ . وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ يُقَسِّمَ الزَّيْتُونَةَ إِلَى ثَمَانِيَةِ أَقْسَامٍ وَيُعْطِي كُلًّا مِنَّا قِسْمًا وَاحِدًا ، وَكُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ سَيَجُودُ عَلَيْنَا بِزَيْتُونَةٍ أُخْرَى ، وَلِذَا نَظَرْنَا إِلَيْهِ مُتَهَامِسِينَ مُتَغَامِزِينَ . أَمَّا هُوَ فَقَدْ أَخَذَ سِكِّينَهُ هَادِئًا رَزِينًا وَشَرَعَ كَعَادَتِهِ يُقَسِّمُ الزَّيْتُونَةَ إِلَى أَقْسَامِهَا الثَّمَانِيَةِ

ثُمَّ بَدَأَ التَّوْزِيعُ . وَكُنْتُ انَا أَكْثَرَ زُمَلَائِي تَعَجُّبًا وَانْتِظَارًا لِمَا سَيَحْدُثُ ، وَعِنْدَئِذٍ ضَحِكَ الرَّئِيسُ مِنِّي ، وَمَدَّ يَدَهُ فَنَاوَلَنِي النَّوَاةَ نَصِيباً لِي لِكَيْ أَتَمَتَّعَ (بِمَصَّهَا) مُعْتَذِراً أَلَّا حِيلَةَ لَهُ مَا دُمْنَا قَدْ زِدْنَا فِي الْعَدَدِ وَاحِداً لَمْ يُعْمَلْ لَهُ فِي الْأَكْلِ حِسَابٌ !!

الْمَسَافَةُ بَيْنَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَرُومَانْيَا يُمْكِنُ أَنْ تَقْطَعَهَا بِأَحَدِ طَرِيقَيْنِ ، لِكُلٍّ مَحَاسِنُهُ ، وَلَكَ أَنْ تَخْتَارَ . وَفِي اسْتِطَاعَتِكَ أَنْ تَخْتَصِرَ الطَّرِيقَ فَتَقْطَعَ الْمَسَافَةَ فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ إِنْ أَنْتَ رَكِبْتَ السَّفِينَةَ رَأْساً إِلَى بِلَادِ الْيُونَانِ ، وَلَكِنَّنَا فَضَّلْنَا

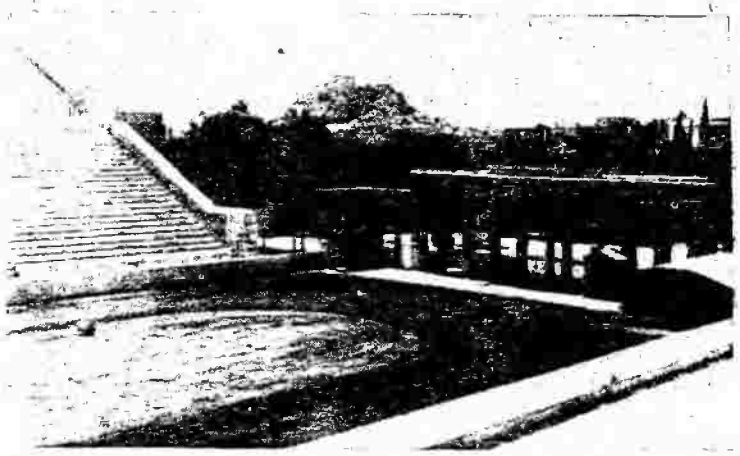

الاستاد

أَنْ نُطِيلَ الرِّحْلَةَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ لِنَرَى بِلَاداً أُخْرَى وَلِنَمُرَّ عَلَى سَاحِلِ بِلَادِ الشَّامِ وَنَقِفَ عَلَى ثَغْرَيْ فِلَسْطِينَ وَسُورِيَا أَيْ عَلَى حِيفَا وَبَيْرُوتَ . وَالسَّفِينَةُ فِي هٰذَا الطَّرِيقِ تَسِيرُ مُدَّةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَاعَةً فِي مِيَاهِ الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ مُتَّجِهَةً شَمَالاً بِشَرْقٍ بَيْنَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَحِيفَا ، ثُمَّ تُلَازِمُ سَاحِلَ الشَّامِ شَمَالاً حَتَّى تَصِلَ إِلَى بَيْرُوتَ فِي سِتِّ سَاعَاتٍ تَقْرِيباً ، وَلٰكِنَّهَا بَعْدَ ذٰلِكَ تَسِيرُ شَمَالاً بِغَرْبٍ مُدَّةَ يَوْمَيْنِ كَامِلَيْنِ حَتَّى تَصِلَ إِلَى بِيرِيه الَّتِي حَدَّثَكَ عَنْهَا سَمِيرٌ فِي رِحْلَتِهِ إِلَى « اسْتَامْبُولَ » . وَإِذَا كُنَّا لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَنْزِلَ إِلَى الْبَرِّ فِي مَوَانِيءِ الشَّامِ فَقَدِ اسْتَطَعْنَا أَنْ نَقْضِيَ فِي أَرْضِ الْيُونَانِ خَمْسَ سَاعَاتٍ ، زُرْنَا فِي خِلَالِهَا مَعْرَضَ مُنْتَجَاتِ الْبِلَادِ (زِيبون) و « الاستاد » وَهُوَ مَلْعَبٌ كَبِيرٌ أُقِيمَ عَلَى أَنْقَاضِ مَلْعَبٍ آخَرَ يَرْجِعُ عَهْدُهُ إِلَى الْعَصْرِ الْقَدِيمِ ، إِذْ يَجِبُ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ الْيُونَانِيِّينَ هُمْ أَقْدَمُ الْأُمَمِ جَمِيعاً مُمَارَسَةً لِلرِّيَاضَةِ الْبَدَنِيَّةِ وَاهْتِمَاماً بِالْأَلْعَابِ.

وَانْتَهَيْنَا إِلَى « الاكروبول » الَّذِي حَدَّثَكَ عَنْهُ سَمِيرٌ فِي الْعَدَدِ الْمَاضِي . (يتبع)

عمار — جوال